المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٨١/١٠/٢٢

# الســـــــــــادات :

# الحـــــاكم الانســـــان

لست سياسيا ولست مولعا بالاتصال بالحكام او معرفتهم فقد نشـات على ان اقسم الرجال الى قسمين قسم حاكم بطبعه متزمت مسيطر يسعى فقط الى مافيه مصلحته وكان الله قد خلقه بعين واحدة فهـو لايملك الا ان يرى نفسـه فقط دون اعتبار لوجود الاخرين .. وقد يكون مثل هـذا الرجـل مجـرد كاتـب ارشيف او ملكا او رئيسا لدولة ولكنه فى اى وضع من هذه الاوضـاع وغيرهـا تجده دائما نفس الرجل المتغطرس المتعالى على غيره الذى تصدر افعـاله عن الية مريضة فهو كالانسان الالى او ( الروبط ) الذى يصـورونه لنا فى افـلام الرعب ..

اما القسم الثانى من الرجال فهـو الانسان بضعفه وقوته .. بسـماحته واتساع صدره للآخـرين .. بـالامه وامانه .. بايمانه بـالله وبنفسـه .. ولذلك ففى اى وضع تضـع فيه هـذا النوع مـن الرجـال ـ وهـــو نوع الانسان ـ ملكا او رئيسـا لدولة او عاملا بسيطا تجده هو نفس الانسان الذى تصدر افعاله عن كيانه كانسان فهى تتسم بالسماحة والصفح وبانه قد وجد على هذه الارض لاليؤكد ذاته بالسيطرة او التعالى على الآخـرين بل ليسعد غيره مـن الناس .. فهـذه الافعـال فى مجمـوعها كمـا هـى .. الثمرة الطبيعية لشـخصيته التـى ليس لها سوى منطلق واحد هو حبه للانسان اينمـا كان وايمـانه بحـق غيره فى الوجود ..

من اجل هذا كان حبى للسادات ومازال وسوف يظل مدى الدهر .. فقد كان حكمه ليس حكم رجل اتقن صناعة الحكم بقدر ماكان ممارسة دائمة لاتعرف التوقف من جانبه لحب عظيم احتضن الانسانية جمعاء .. ومن هنا دخل حب السادات كل بيت فى ارجاء العالم المختلفة بعد ان غير مفهوم البطولة بافعاله لابمجرد الاقوال - فلم يصبح البطل من يقهر الدنيا بجيوشه كما فعل هتلر او نابليون - بل من غزا قلوب الناس بالحب والسلام والفداء كما فعل السادات الى اخر لحظة فى حياته ففجعت بفقدانه مصر كما لم تفجع منذ موت صلاح الدين الايوبى ومازالت الكارثة تهز بلدان العالم المتحضر الذى اجمع على ان انور السادات لم يكن فقط زعيما عظيما من زعماء هذا القرن بل هو اعظمهم جميعا وبذلك وضع مصر فى الصفوف الاولى لدول العالم فاعاد بانسانيته اكتشاف العالم لمصر كما ضرب المثل الاعلى لما ينبغى ان يكون عليه الحاكم .. فهو ليس من يستطيع الحكم فحسب بل هو اولا وقبل كل شىء قلب عظيم - وبدون مثل هذا القلب توالت الحكام على بلاد العالم المختلفة الواحد بعد الاخر ولكن دون ان يتركوا بصمات الحب واحترام الانسان على قلوب البشر ..

من طباع الانسان بمعانى الانسانية التى تتضمنها الكلمة انه مهما اتى من افعال عظيمة فهو لايزهو بها ولايتفاخر .. بل غالبا مايعود الى الماضى فيقارن بين ماكان عليه وبين ماهو فيه الآن ويرجع المركز المرموق الذى بلغه الى مشيئة الله التى ارادت ان يكون هكذا فكان وقد كان للسادات وقفات مع الزمن تتخلل حياته فى مراحلها المختلفة يراجع فيها نفسه ومافعل وماينبغى ان يفعل ...

كان لقاؤنا ذلك اليوم فى القناطر فى اواخر سنة ٧٩ ولكنى وجدته على غير عادته واجما فقلت اساله : فيم يفكر الرئيس ؟ قال « ابدا .. بعد ماعدت من القدس وانا بامر وسط الملايين كنت الاقى الناس فى حالة فرح شديد لما يشوفونى قلت فى نفسى سبحان الله ربنا اعطانى كل هذا الحب ليس فى مصر فقط بل فى العالم كله لماذا ومقابل اى شىء فعلت ؟ هل لاننى حاكم ؟ ابدا .. هل لاننى فلاح بسيط نشا فى قرية ليس لها اى مكان على اية خريطة فى العالم ثم شق طريقه الى ان اصبح مااصبحت ؟ لا .. ابدا .. فالولاية من عند الله سبحانه وتعالى ليس فقط لانه هو اللى بيشكل حياتنا ومصائرنا ولكن لان كل من يلتصق بالوجود ويعيش فى الناس وغيرهم من الكائنات لابد ان يعرف ان حياتنا ليست فقط كلها

من رسم وهندسة الله .. لا .. فيه حاجة اكبر وهى ان الحاكم بالذات يختاره الله عز وجل لامر يريده ... لرسالة لابد وان يقوم بها .. فهل حققت انا الرسالة التى كلفنى الله بها ؟ لااعلم ـ وهذا مايحيرنى ولكنى اعرف جيدا فى دخيلة نفسى ان الله لم يقتصر عطاؤه لى على الايمان فقد اعطانى ايضا ماهو اقوى منه وهو اليقين ومع اليقين اعطانى السماحة والصفاء وهدوء النفس الذى اشعر به فى داخلى ويراه الناس على وجهى اشعاعا يرتاحون اليه وهذه نعمة من نعم الله على لان اليقين قد جعلنى صادقا مع الله ومع نفسى فما اصل اليه فى سرى هو ماأعلنه فى علنى وبلا ادنى تغيير او مناورة .. وهذا هو الصدق فى اجمل صوره مع الله .. مع النفس ومع الناس فالحمد لله كل الحمد .

وصمت الزعيم قليلا ثم قال والبشر يملأ وجهه تعرف وانا باتكلم معاك دلوقتى قدامى صورة قديمة اراها بتفاصيلها وكانها امامى : فى يوم كنت قاعد فى قصر الطاهرة فى حجرتى وكان بها شباك صغير مفتوح على اللانهائية .. بصيت من الشباك لقيت كوبرى بيعدى فوق السكة الحديد التى توصل الى قصر القبة .. وقفت مذهول .. سبحان الله .. وانا فى حجرتى فى قصر الطاهرة اطل على المنظر اللى قدامى .. عاد بى الزمن الى سنة ١٩٢٥ .. وفى ذلك الوقت كنت بامشى ٥ كيلو كل يوم عشان

اروح المدرسة فى مرة وانا راجع من المدرسة لقيت جماعة قاعدين على حشيش الجنينة قدام الكوبرى فوقفت اتلكا الى ان رايتهم مشيوا وسابوا وراهم شوية برتقال على الارض - قلت ايه ده ؟ فى القرية عندنا الفاكهة غير موجودة لان صاحب الارض بيزرع الفاكهة عشان يبيعها فاذا لم يدعوك الى اخذ بعض الفاكهة من الارض فلا يمكن ان تعرف طعمها ابدا .. فانا لما شفت البرتقال اللى سابوه الناس على الارض زهلت واتحيرت .. هل اخذ الفاكهة .. يمكن فيها حاجة وحشة فضلت متردد وبعدين بصوا هم وراهم وانا اجمع البرتقال ولم يقولوا شيئا فاتركت انهم سابوه مش نسيوه .. اد ايه كنت سعيد لما اخذت البرتقال وبدات فى اكله .. عادت هذه القصة الى ذاكرتى وانا فى حجرتى بقصر الطاهرة فقلت فى نفسى سبحان الله .. هذا الطفل المعدم المجهول الهوية التى كانت البرتقالة الواحدة بالنسبة له ثروة من كان يصدق انه فى يوم من الايام سيجلس فى قصر ملكى ويصبح رئيسا لمصر ؟ واذ كنت اتساءل لم تكن النتيجة ان لعب الغرور براسى بل على العكس ازددت تواضعا لله وخشية له فهو الذى فعل كل شىء - لان بيده وحده كل شىء . "

كان احساسي بالسادات دائما أنه واحد منا - يحس بما يحس به الشعب ويريد ماييريده الشعب ويعيش ايضا كما يعيش اى فرد متوسط الدخل من افراد هذه الأمة .. هذه كلمة اقولها للتاريخ والحقيقة لاردا على الاشاعات التافهة المغرضة التى كان ينشرها خصومه وهم صنفان .. الأول .. عملاء دول اجنبية يكسبون عيشهم بالخيانة والصنف الثانى حاقدون طامعون صور لهم حقدهم أن يضعوا انفسهم على قدم المساواة مع اعظم بطل شهده تاريخ مصر الحديث .. وكلا الصنفين من هؤلاء الناس هم فى الحقيقة متخلفون عقليا اى مرضى مكانهم الطبيعى مصحة عقلية او مستشفى المجانين .. فمثلا كانوا يرددون أن السادات يمتلك ١٢٠ استراحة مع انه لم يكن يمتلك بصفته رئيسا للجمهورية لابصفته الشخصية سوى بيته بالجيزة واستراحة المعمورة التى كانت اصلا استراحة المشير عامر اما استراحة برج العرب فقد كانت موجودة من عهد عبد الناصر وماقبله ومثلها استراحة القناطر واستراحة الهرم الصغيرة المتواضعة واستراحة اسوان الأكثر تواضعا والتى تليق فى الواقع بموظف فى الدرجة السادسة لابرئيس دولة يستقبل فيها اثناء اقامته القصيرة بها كل سنة من زعماء العالم ورؤساء الدول عددا غير قليل ..

فقد كان السادات كما قلت واحدا منا ولكنه كان يختلف عنا فى زهده وتجرده من متع الحياة وفى انه كان يحمل رسالة لم يهمل قط فى ادائها كما يفعل غالبية البشر .. هذه الرسالة هى الحب الذى يصاحبه الصفح والغفران ولاابالغ اذا قلت النسيان ـ نسيان الاساءة اليه ولكن لاالى مصر فقد كان يضعها دائما فوق كل اعتبار .

روى لى السادات هذه القصة :

كان عبد المنعم عبد الرءوف الرجل الثانى فى تنظيم الضباط الاحرار الذى انشاته انا فى سنة ١٩٤٠ .. وبعدما سجنت وطردت من الجيش استلمه عبد الناصر منه واستمر فى العمل مع عبد المنعم عبد الرءوف .. ودارت الأيام وحصلت الثورة وضمه الاخوان المسلمون الى تنظيمهم وسار معهم عبد المنعم عبد الرءوف فى المؤامرة الكبرى وكان المفروض ان يلبس حزام الديناميت ويحضر الينا فى مجلس الوزراء ونحن موجودين جميعا فينسف المجلس بمن فيه وينسف نفسه واكتشفت المؤامرة فصدر عليه حكم بالاعدام ولكنه استطاع الهرب الى لبنان وتكفلت انا ببناته الى ان تزوجن وقد قمت بتزويجهن .. ثم حدث اخيرا وانا رئيس ان حضر عبد المنعم عبد الرءوف الى القاهرة فاتصلوا بى لانه عليه حكم اعدام وليس عنده الجنسية المصرية فهذا معناه ان يؤخذ من الطائرة الى السجن

مباشرة ولكنهم اتصلوا بى فقلت لهم اتركوه فورا يذهب الى منزل احدى بناته وطلبت من مكتبى ان يجهزوا لى قرارا بالعفو ووقعته . واطمان حينما دخل مصر لان احدا لم يساله بالمرة .. ولكنى طلبت من مكتبى احضاره واحضار ابنته .. فوصلا عندى .. كنت تقرا على وجهه مليون انفعال قلت لها ايه يابنت انتى اللى عملتيه ده ازاى تدخلى الراجل ده عندك انت مش عارفه انه محكوم عليه بالاعدام ومجرد من جنسيته .. اتبرجلت البنت وابوها ـ قلت لهم هاتوا القرار احضروه لى .. قلت لهم حيث انك ارتكبت جريمة كذا وكذا ومحكوم عليك بالاعدام تدخل السجن وتعاد محاكمتك من جديد حسب القانون فالبنت قامت وقالت ياعمى ارجوك قلت لها طيب خدى القرار اقرايه على ابوك اللى باع اخوانه علشان الاخوان المسلمين .. اخدت القرار وهى بترتعش وقرات . العفو الشامل ومعاشه بالكامل معاش اعضاء مجلس قيادة الثورة .

وفى الفترة الاخيرة سمعت انه اصيب بالشلل فذهبت الى زيارته فى مستشفى المعادى .

فى لقاء حديث مع الزعيم الخالد قال لى :

من نعم الله التى انعم على بها البصيرة فانا لااسمح ابدا لمصر الا ان تكون قوية والقوة هنا ليست قوة العضلات او قوة الشتائم او قوة

التمسك بامور زائلة .. فالقوة انما تاتى من التمسك بالحق والشرف حتى ولو كان فى هذا دماء تنزف فافضل واشرف ان يظل الانسان مرفوع الراس وهو يدمى على ان يعيش منكس الراس وهو يستمتع مهما كان هذا الاستمتاع

لقد كان السادات دائما قريبا من الله بروحه .. بقلبه .. بجسده .. بكيانه كله والان وهو فى حضرة الخالق عز وجل لاأملك الا ان استرجع صدى صوته وانا اسمعه يردد فى خشوع قصيدة كانت قريبة الى قلبه منذ ان ترجمها فيقول :

انت ربى الذى اعبد وربى الذى اعشق وربى الذى من اجله اريد ان اتالم واريد ان اتعذب واريد ان انفطر واتمزق واموت ..

ان الله يتغلغل فى عقلى تغلغل الحرارة المباركة فى عظام شيخ محطم .. ويصهر دمى كما تصهر النار سبيكة الذهب ويندمج فى كيانى كما يندمج العطر فى الزهرة والثمرة فى الشجرة والنور فى الظلام

ولذلك سوف انشد من اجله دائما نشيدا جديدا رائعا لم يسمعه انسان من قبل ... ولن يسمعه احد لانه بينى وبين الله ...

# رشاد رشدى